

المبدأ القرآني في التعامل مع الآخر



قال تعالى في محكم كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات/ 13). تبين الآية أهم المبادئ الإلهية التي أرساها القرآن الكريم للتعامل مع الآخر. فمن خلال الآية المتقدمة يؤكد القرآن الكريم قاعدتين أساسيتين في حقيقة المجتمعات البشرية: (الحقيقة الأولى: وحدة الجنس البشري، والحقيقة الثانية: التدخل الإلهي في نشئة المجتمعات).

وأما الحقيقة الأولى فبيّنها □ تعالى من خلال قوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء/ 1). فهذه الآية تقرر أن الناس كلهم حقيقة واحدة وطبيعة متماثلة؛ فالرجل من نفس طبيعة المرأة، والمرأة من نفس طبيعة الرجل، ويناسب هذه الحقيقة قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) (الرؤوم/ 21)، وكذلك قوله تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) (النحل/ 72). وأما الحقيقة الثانية والتي تظهر من خلال قوله تعالى (وجعلناكم) والتي تبين الإرادة الإلهية في تكوين مجتمعات بشكل متنوع و متميز، وأن هناك جملة من المصالح والفوائد أرادها □ من وراء ذلك الجعل، وهذه الآية تقرر أن تشعب الناس إلى شعوب وقبائل كان من الجعل التكويني الإلهي.

دلّت الآيات القرآنية على تأصيل مبدأ السلم مع الآخر بحيث يكون السلام هو المناخ الذي يحيط بأي علاقة بالآخر مهما كان بعيداً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة/ 208). ولكن الدعوة إلى السلم لا تنطلق من الجبن والخوف وإنما من الروح الإيجابية وقوة الرحمة في الإسلام: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَإِذِ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ أَتَمًّا لَكُمْ) (محمد/ 35). والنظرة القرآنية لهذا التعامل إنما تنطلق من الرحمة الإلهية في التعامل مع الآخر، قال تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ

